Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Challenging verses in the Qur'an The Holy One (semantic rhetorical study)

Muhammad Abdo Al-Jahdabi

University of Sheba Province - Faculty of Arts and Human Sciences Department of Arabic Language and Literature - Republic of Yemen - Marib Governorate

Article information

Received : 27/6/2024
Revised 15/7/2024
Accepted : 24/7/2024
Published 1/6/2025

Keywords

Challenging ,Verses, Rhetorical, Semantic, Qur'an

Correspondence:

Muhammad Abdo Al-Jahdabi

aljahdbi@gmail.com

Abstract

This research aims to study the challenging verses contained in the Holy Qur'an, from a rhetorical and semantic point of view, in order to highlight the arts, declarative methods, and pleasant meanings in them, and to show the aspects of difference or agreement in them that distinguish them from other verses.

The study consisted of two sections: The first was about the rhetorical and semantic secrets of the challenge verses, and the second was about the aspects of agreement and differences between those verses.

The researcher followed the descriptive and analytical approach to the text, to reach results, the most important of which are:

The strength of the connection between the challenging verses and the opening of the surahs contained in them. We find that three of them opened their surahs with disjointed letters indicating that the Qur'an is miraculous with its words, their arrangement, and their composition, even though they are composed of those letters known to the Arabs. The verse of the Night Journey was devoid of that oath, and for this reason it was designated with an oath at the beginning of the verse. As for the verse of Al-Tur, the surah opened with an oath with a book. God Almighty frankly,

without exaggeration or innuendo.

Then the verses of challenge were distinguished and agreed upon in the selection of precise and precise words in all of them, which fulfilled their general purpose, which is the challenge and miracle of the Holy Qur'an, including: (So they came), which indicates the inability of the addressees to come up with something like the Holy Qur'an in wording, composition, and harmony, and the collective expression (Call upon). Evidence of the completeness of the challenge and its generalization to all creatures, whether humans or jinn, Arabs or non-Arabs, few or many.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

آيات التحدي في القرآن الكريم (دراسة بلاغية دلالية)

محمد عبده الجَحْدَبِيّ

جامعة اقليم سبأ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية وآدابها - محافظة مأر – الجمهورية اليمنية

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٤/٦/٢٧

تاريخ المراجعة : ٢٠٢٤/٧/١٥

تاريخ القبول : ٢٠٢٤/٧/٢٤

تاريخ النشر : ٢٠٢٥/٦/١

الكلمات المفتاحية :

آيات ،التحدي، بلاغية، دلالية، القرآن

معلومات الاتصال

محمد عبده الجَحْدَبِيّ

aljahdbi@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات التحدي الواردة في القرآن الكريم، من الوجهة البلاغية الدلالية، وذلك لإبراز ما فيها من فنون وأساليب بيانية، ومعانٍ لطيفة، وإظهار ما فيها من أوجه اختلاف أو اتّفاق تميّزت بها عن غيرها من الآيات. وتكونت الدراسة من مبحثين؛ الأول منها كان عن الأسرار البلاغية الدلالية لآيات التحدي، والثاني عن أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين تلك الآيات.

وقد تبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي للنص، للوصول إلى نتائج، من أهمها: قوة الترابط بين آيات التحدي وبين افتتاح السور الواردة فيها؛ إذ نجد أن ثلاثاً منها افتتحت سورها بالحروف المقطعة الدالة على أن القرآن معجز بكلماته وترتيبها وتركيبها، مع أنها متكوّنة من تلك الحروف المعروفة عند العرب، وآية الإسراء خلتْ من ذلك القسم من أجل هذا اختُصت بالقسم في بداية الآية، وأما آية الطور فافتتحت السورة بالقسم بكتاب الله تعالى صراحة دون تعريض أو تلويح.

ثم إن آيات التحدي تميّزت وتوافقت على اختيار الألفاظ الدقيقة والمحكمة في جميعها، التي تحقق الغرض العام منها، وهو التحدي والإعجاز بالقرآن الكريم، منها: (فأتوا) الذي يدل على عجز المخاطبين عن الإتيان بمثل القرآن الكريم لفظاً وتركيباً وانسجاماً، واللفظ الجماعي (ادعوا) الدال على كمال التحدي وتعميمه لسائر المخلوقات إنساً أم جناً، عرباً أم عجماً، قليلين أم كثيرين.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة

بعد أن كانت العرب تتبارى بالشعر والفصاحة والبلاغة شاء الله أن تكون معجزة النبي ﷺ من جنس ما يشتهرون به، فأنزل الله القرآن الكريم الذي تحداهم الله بالإتيان بمثله، بل تجاوز ذلك التحدي إلى الإنس والجن والأمر قائم إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ **الإسراء:** ٨٨، ويقول عليه الصلاة والسلام: {ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة}[1].

فهذا الوحي كان معجزاً بفصاحته وبلاغته، ولا سيما بين قوم اشتهروا بالفصاحة والبلاغة والبيان، وهم كفار قريش وما جاورها من القبائل العربية التي كانت تتباهى بالشعر والنثر وتتفاصح به في المجالس والأندية والأسواق، حتى كانت لهم أسواقٌ يتداعون إليها وينشدون أشعارهم، فما أجيز من ذلك من قبل النقّاد إذا بها تطايرت على الألسنة وتناقلها الرواة شرقاً وغرباً.

وكلما كانت هذه القصائد بليغة فصيحة كان تناقلها أكثر وأكثر، حتى وصل بهم الحال إلى كتابة تلك المعلقات بماء الذهب إعجاباً بفصاحتها وبلاغتها، فاشتهر بعد ذلك بما يسمى بالمعلقات السبع أو العشر، التي عُلّقت على أستار الكعبة.

فبينما هم كذلك بعث الله إليهم نبياً منهم بوحي إلهي مؤلف من حروفهم العربية التي يتكلمون بها، فأبكم أفواههم، بل جعلهم عاجزين عن الإتيان بمثله، وتحداهم أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، بل آثروا طريق الحرب والمعارك مع النبي ﷺ بدلاً من قبول ذلك التحدي، ولو أنهم قبلوا بذلك التحدي وأتوا بمثل القرآن لأراحوا أنفسهم من مشقة ذلك كله.

وعلى الرغم من أن أسلوب القرآن لم يخرج عن مألوف العرب في لغتهم في مفرداته وجمله وتراكيبه، وتقديمه وتأخيره، وتعريفه وتنكيره، وعباراته وصوره، فمن حروف لغتهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت جمله وتراكيبه، وعلى قواعدهم ومذاهبهم في القول جاء نظمه وتأليفه، على الرغم من ذلك فقد أعجزهم أسلوبه ونظمه وبيانه، فجاء بأفصح الألفاظ، وأحسن المنظوم، وأدق التعبير، متضمناً أصح المعاني، وأسمى المقاصد والموضوعات، ومنها آيات التحدي التي اشتملت على الكثير من المعاني البيانية والجمل البديعة والتراكيب المعجزة، فلا عجب في ذلك فهي آيات تعلن للمخاطبين بصراحة ذلك التحدي.

من أجل هذا كان لزاماً علينا أن نقف عند بعض الآيات القرآنية – ولا سيما آيات التحدي –وندرسها دراسة بلاغية دلالية، ونستخرج ما فيها من لطائف بيانية ولفتات بديعة لإبراز ذلك للقارئ، وإظهار ما في الآيات من كنوز، حري أن تظهر، وأن يزداد المؤمن يقيناً بأن القرآن كلام الله أنزله على عبده ونبيه محمد ﷺ.

---

[1] صحيح البخاري– لـ محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت– ط٣ ١٤٠٧– ١٩٨٧، (٤/ ١٩٠٥).

أهمية البحث:

القرآن الكريم معين لا ينضب، وحكمة بالغة لا تنتهي، ومعانيه متجددة، فالفقيه يأخذ حظه منه، والأصولي يأخذ نصيبه، وعالم الفلك كذلك وغير ذلك... فحري بنا أهل اللغة الوقوف عنده متأملين ومتدبرين، لا سيما آيات التحدي التي لفت انتباهي حديث العلماء عنها.

أسباب اختيار الموضوع:

- إظهار بعض الأسرار البلاغية في آيات التحدي.
- ربط اللغة العربية بكتاب الله تعالى، وتطبيقها عليه، لا سيما آيات التحدي.

مشكلة البحث:

- ما الأساليب البلاغية التي اشتملت عليها آيات التحدي؟ وما المعاني التي أفادتها تلك المعاني؟
- ما اللطائف البيانية والأسرار البلاغية في آيات التحدي؟ وهل هي مختلفة عن غيرها من الآيات؟
- وهل يوجد بينها اتفاق أو اختلاف ظاهر يستحق الوقوف عنده؟

أهداف البحث:

١- إبراز الفنون والأساليب البلاغية والدلالية في آيات التحدي.

٢- توضيح ما تضمنته آيات التحدي من أسرار بلاغية، وما تميّزت به عن سائر الآيات.

٣- إظهار ما في الآيات من وجوه معجزة وجميلة، بيانية ومعانٍ لطيفة.

٤- إبراز أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين آيات التحدي.

الدراسات السابقة: توجد دراسة سابقة لآيات التحدي في مجال الدراسات القرآنية، وهو بحث محكم بعنوان: (آيات التحدي بالقرآن الكريم – جمعاً ودراسة) لـ د. ناصر بن محمد الصائغ عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، جمع فيه آيات التحدي، ودرسها دراسة تفسيرية، حيث أشار إلى أن التحدي خاص بالقرآن الكريم دون سواه من الكتب السماوية، وبيّن أوجه التحدي فيها، وذكر مراحل التحدي، أما بحثنا هذا يختلف عن ذلك، فهو جانب بلاغي دلالي، تم النظر إليها من جانب دلالي لغوي، وبيّنت فيه أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين آيات التحدي.

منهجية البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الآيات، والوصول للأسرار البلاغية التي اشتملت عليها الآيات.

هيكلة البحث: المبحث الأول: الأسرار البلاغية لآيات التحدي.

المطلب الأول: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة البقرة.

المطلب الثاني: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة يونس وسورة هود.

المطلب الثالث: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة الإسراء.

المطلب الرابع: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة الطور.

المبحث الثاني: أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين آيات التحدي.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق الدلالي والأسلوبي بين آيات التحدي.

المطلب الثاني: أوجه اختلاف التنوع بين آيات التحدي.

جدول آيات التحدي

الرقم	السورة	الآيات
١	البقرة	﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة:٢٣-٢٤
٢	يونس	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨.
٣	هود	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود:١٣
٤	الإسراء	﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨
٥	الطور	﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور:٢٣- ٣٤

المبحث الأول: الأسرار البلاغية لآيات التحدي.

المطلب الأول: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة:٢٣- ٢٤.

افتتحت سورة البقرة بالأحرف المقطعة (الم) الدالة على عظمة إعجاز القرآن الكريم وعدم قدرة الإنس والجن عن الإتيان بمثله مهما بلغت فصاحتهم وبلاغتهم، فهو قرآن منظوم من جملة الأحرف الهجائية التي تتحدثون بها، فلماذا لم تقبلوا بهذا التحدي وتأتوا بسورة من مثله كما في سورة البقرة، أو بسورة مثله كما في يونس، أو بعشر سورٍ كما في سورة هود، أو بحديثٍ كما في سورة الطور، بحيث تشبهه في النظم والبلاغة والإحكام وجودة السبك؟ وهذا رأي ابن كثير في تفسيره[١] بأن هذه الحروف ذُكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه من جنس الحروف التي يتخاطبون بها، بل ويبهرون الآخرين بفصاحتهم وبلاغتهم

[١] تفسير ابن كثير – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة ط٢ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (١/ ١٦٠).

شعراً ونثراً وخطابة، حتى وصل بحال كثير من مشركي قريش إلى محاولة سماع القرآن والتخفي عن الآخرين لأجل تشنيف آذانهم بالاستماع لشيء منه إعجاباً وتأثراً به لفصاحته وبلاغته.

وأكّد هذا الرأي الزمخشري في كشافه، وانتصر له انتصاراً كبيراً[1]، وكذلك هو رأي الإمام ابن تيمية؛ وعلّل ذلك بأن كل سورة افتُتحتْ بالحروف المقطعة لا بد أن تُتبع بذكر القرآن والانتصار له والحديث عن عظمته وبيان إعجازه، والتنويه بمنزلته وعلو شأنه، وأنه لا شك فيه، وأنه أُحْكمت آياته وفصلت منه سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة:١- ٢، و﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ يونس: ١، ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١، وغيرها من الآيات.

أما الآية التي نحن بصددها فحتى ندرك سياق هذا الخطاب يجدر بنا أن نعرف ما سبقها من الآيات ونربط بينها، فبعد أن احتجّ الله سبحانه وتعالى على المشركين في إثبات توحيد الألوهية والربوبية في الآيات السابقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١، وأن توحيد الربوبية هو طريق لتوحيد الألوهية شرع بعد ذلك في إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن ما أوحي إليه هو الحق لا مرية فيه.

قول الله تعالى: (وإن كنتم في ريب)، يؤتى بـ (إذا) للمقطوع بحصوله[2]، وأنه آت لا محالة ولا ريب، ولا سيما الحديث عن يوم القيامة الذي سيأتي، فيقول مؤكداً بهذا القطع والجزم به: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ الانشقاق: ١، و﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ الانفطار: ١، و﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ ﴾ الزلزلة: ١.

ويؤتى بها أيضاً للكثير الوقوع، من ذلك: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾ النساء: ١٠٣، يقول الطالب لصاحبه: إذا ذهبتُ إلى المدرسة فسأمرّ عليك.

بينما (إن) في هذه الآية يؤتى بها للأمور المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والنادرة، مثل قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ البقرة: ١٨٠، فقضية الوصية ليست لكل أمر، وإنما تتأكد لمن ترك شيئاً من الخير والمال حتى لا يضيع هذا المال أو يأخذه من لا يستحقه، بخلاف من لم يترك شيئاً من ذلك الخير فهي لا تجب ولا تتأكد في حقه.

ويؤتى بها للأمور المستحيلة كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ۝٨١ ﴾ الزخرف: ٨١، وهذا يستحيل على الله أن يكون له ولد تعالى الله عن ذلك، وإنما هو من باب الافتراض المستبعد وقوعه.

---

[1] انظر: تفسير الكشاف، محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣ – ١٤٠٧هـ (١/ ٢٧).

[2] انظر: البرهان في علوم القرآن لـ محمد بن عبد الله الزركشي، ط١ ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م – دار إحياء الكتب العربية (٤/ ٢٠١)، و خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة– ط١ ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م (١/ ٢٠٨).

وهنا في هذا الموضع جيء بـ (إن) المفيدة للشك مع كون المخاطبين في ريب مما نزل على النبي على الحقيقة، وهذا كله تنزيلاً للمحقق منزلة المشكوك فيه، وتنزيها لساحة القرآن عن أن يتحقق فيه الشك أو يتسلل إليه شيء من ذلك، وتوبيخاً لهم على وضعهم الأمور في غير موضعها[١]، يقول الزمخشري: "فهلا جيء ب «إذا» الذي للوجوب دون «إن» الذي للشك. قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمّل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام.

والثاني: أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه: إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به"[٢]، ولا يمنع أن يجتمع الأمران معا، فهو مسوق حسب ظنهم وزعمهم، وهو تهكم بهم أيضاً.

(في ريب)، التعبير بحرف الجر الدال على الظرفية للدلالة على أن الريب محيط بهم من كل اتجاه، وأنهم واقعون في أوهامهم وغفلتهم كوقوع الشيء في مظروفه، ففيه استعارة لحرف الجر (في) حيث شبه تلبسهم بالشك والريب وإحاطته بهم بانغماس الظرف في المظروف على سبيل الاستعارة التبعية، بمعنى آخر: أن (في) مستعمل في غير ما وضع له؛ لأن الريب شيء معنوي ولا يصلح للظرفية الحقيقية، لكن لما كان الريب متمكناً منهم ومحيطاً بهم من كل اتجاه، فشبه الريب بالظرف الحقيقي في هذا التمكن والإحاطة.

ثم إنه جيء بـ (إن) وتنكير (ريبٍ) في الآية لأن قضية الريب في القرآن الكريم لا يقع إلا في النادر عند أصحاب العقول السليمة والفطر السوية؛ إذ لا يكذب بالقرآن إلا من كان صاحب هوى يتبعه أو جاحد معاند على عقله وقلبه غشاوة فهو لا يرى الحق[٣].

وقوله: (مما نزلنا على عبدنا)، فـ (من) التبعيضية للإشارة إلى عدم وجود شيء من الشك في كتاب الله تعالى، حتى في آية منه، بل كله حق لا مرية فيه.

(نزّلنا) جيء بالفعل المضعّف دون (أنزلنا مثلاً) بمعنى: أن النزول كان على سبيل التدرج، فمن المعروف أن القرآن نزل مرة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك بحسب الأحداث والنوازل، وهذا فيه إمعان في التحدي أكثر، أي: إن ارتبتم في هذا الأمر الذي نزل على التدرج فهاتوا منه حتى سورة من أصغر السور في ذلك، أو نزولاً في أي حادثة من ذلك، وهذه غاية في التبكيت والتوبيخ لهم[٤]، بمعنى:

---

[١] انظر: القرآن يتحدى الكتاب لـ د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– سنة ١٦، العدد ٦٢، ١٤٠٤هـ، (ص: ٢٠).

[٢] الكشاف (١/ ١٠١).

[٣] انظر: التسهيل لعلوم التنزيل– لـ ابن جزي الكلبي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – ط١ – ١٤١٦هـ (١/ ٧٦).

[٤] ينظر: الكشاف (١/ ٩٧).

أنه على افتراض لو حصل ريب في مرّة ما أو حادثة ما فلن يكون كذلك في الحادثة الثانية وفي الثالثة والرابعة، فكلما تكرر صدقه في جميع الحوادث فهذا آكد في تصديقه ونفي الريب عنه، وهو آكد في التوبيخ والتقريع لمن كذب به.

والحرف (على) في قوله تعالى: (مما نزلنا على عبدنا)، يوحي بشيء من العلو والرفعة للنبي عليه الصلاة والسلام حيث جاء الوحي ليرفع منزلته وقدره عند الله تعال؛ إذ حرف الجر (على) المعنى الأصلي والغالب له هو الاستعلاء [1]، وهذا بخلاف التعبير بحرف الجر (إلى) الذي يأتي غالباً [2]بمعنى الغاية، ومن ثم شرّفه الله بإضافته إليه في لفظ (عبدنا) فازداد بذلك علواً ورفعةً وشرفاً وقدراً عليه الصلاة والسلام.

وبعد الجملة الخبرية في بداية الآية يعطف بعد ذلك بالأسلوب الإنشائي الطلبي (الأمر) بقوله: (فأتوا بسورة من مثله) الذي خرج فيه عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، فلسنا مكلفين بالإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضه، بل المراد منه التعجيز؛ إذ هو عمل لا يقدر عليه المخاطب، والمراد منه إظهار عجزه وضعفه على سبيل التحدي، وسر بلاغة التعبير بالأمر هنا في مقام التعجيز هو إبراز قوة التحدي والتسجيل على المخاطبين ليتعظوا ويقلعوا عمّا هم فيه من الإعراض والتكذيب، ويسلّموا بكون القرآن حق منزّل من الله على رسوله ﷺ.

حتى واو الجماعة في الفعل (فأتوا) له مدلول، فالمخاطبون هم الناس جميعاً ممّن له قدرة على البيان وله باع في حسن القول وإجادته، وليس التحدي مخاطباً به أول من خوطب به وهم كفار قريش فحسب، بل الخطاب مستمر لمن جاء من بعدهم، يتجدد من حينٍ إلى آخر؛ ليعلن للثقلين من الإنس والجن عدم قدرتهم على الإتيان بمثله، ويظهر عجزهم عن مقاربتهم لمثل هذا القرآن فضلاً عن الإتيان بمثله في بلاغته وفصاحته وبيانه.

والتنكير في (سورةٍ) لإفادة التعميم والشمول، فالتحدي يشمل الإتيان بسورة قصيرة أو طويلة أو حتى آية واحدة، كما صرح بذلك في آية التحدي التي في سورة الطور.

(من مثله) في التركيب والنظم والتعبير وجودة الألفاظ وحسن اختيارها في موضعها، وربطها بحروف المعاني المناسبة.

(وادعوا شهداءكم) يأتي بعد ذلك أمر آخر زيادة في التعجيز والإفحام وتشنيعاً لمن في قلبه شك أو ريب من القرآن وهو دعاء غير الله لعلهم ينفعونهم، أو يأتي منهم شيء من مثل القرآن إن كانوا صادقين في ادّعائهم النفع والضر والقدرة على مواجهة التحدي والقبول به، بمعنى أن التحدي قائم للمخاطبين حتى وإن استعانوا بما يدعون من دون الله..

فهم مدعوون الآن إلى أن يقبلوا ويستجيبوا لهذا التحدي ويأتوا بمثل هذا القرآن ليخرجهم من ضيق الشك والريب الذي لا يزالون يتخبطون في أوديته ومهاويه، إلى سعة اليقين بصدق كتاب الله تعالى ومعينه الذي لا ينضب.

---

[1] انظر: شرح ابن عقيل، دار التراث–القاهرة، ط٢٠– ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م (٣/ ٢٣).

[2] انظر: شرح ابن عقيل (٣/ ١٧).

وتم الوصل بين هذه الجملة والتي قبلها، إذ هما جملتان إنشائيتان (فأتوا – وادعوا) لما بينهما من اتحاد في المعنى ومناسبة تامة فيه، فكلاهما فعل أمر جيء بهما لإظهار العجز عن عدم قدرة المخاطبين الإتيان بمثل هذا القرآن، أو ادّعاء شهوداً من غير الله على ذلك.

(من دون الله)، والدّون هو أدنى شيء في المكان، والدنيّ الحقير، ويقال: هذا دون ذاك أي أحط منه في المنزلة، واستعير هنا للتفاوت في الأحوال والرتب، فيقال: خالد أدنى من زيد في الشرف والعلم، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل ما يجاوز حداً إلى حد[1].

(إن كنتم صادقين) اختتمت الآية بمجيء (إن) المفيدة للشك مع كون المخاطبين على كذب في دعواهم وافترائهم، وهذا كله تنزيلاً للمحقق منزلة المشكوك فيه واستبعاداً من أن يكونوا صادقين على الحقيقة، بل هم كاذبون في ريبهم وفي دعواهم غير الله، وافتتاح الآية بحرف الشك (إن) واختتمت بها فيه دلالة على أنهم منغمسون في الريب والشك وأن ذلك محيط بهم إحاطة السوار بالمعصم، وأنه مبدؤهم ومختمهم.

والناظر بحاسة الذوق تروقه وتؤنسه بلاغة إسناد الصدق إليهم وملاءمته لجو الشك والريب الذي يتسلل منهم، ويكاد ينسل من ثناياهم وملامحهم ولحنهم في القول.

ثم عطف على الآية السابقة بالفاء ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾ البقرة: ٢٤؛ للإشارة إلى أن عجزهم وعدم قبولهم بهذا التحدي هو الحاصل منهم؛ ولذا عقّب بحرف العطف الدالّ على الترتيب مع التعقيب مباشرة، بل تحداهم فوق ذلك بقوله: (ولن تفعلوا) إشارة إلى أن عجز البشر عن عدم الإتيان بمثل القرآن في الحاضر والمستقبل، بمعنى أن العجز حاصل منهم من وجهين: في صحة كون المتحدَّى به معجزاً، ثم الإخبار بأنهم لن يفعلوا في المستقبل وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

وآثر المجيء ب (إن) الشرطية الدالة على الشك مرة أخرى دون (إذا) الدالة على الوجوب لأمرين: أولاً مجاراة لهم بأن يساق القول بحسب زعمهم وظنهم، ثم إنه تهكم بهم واستخفاف بعقولهم[2].

ثم تختتم آيتي التحدي في هذه السورة بأن يأمرهم الله بما هو متوجب عليهم، بعد تبيّن عجزهم وعدم قدرتهم عن الإتيان بمثل القرآن أو ببعضه أن يتقوا الله ويخافوا من النار العظيمة، التي وقودها الناس والحجارة أعدها الله للكافرين.

مظاهر التحدي والإعجاز في الآيتين: وعند التأمل في الآيتين نجد أن التحدي قد ظهر من خلال:

المظهر الأول: فعل الأمر الدال على التعجيز (فأتوا) وإظهار عجز المخاطبين حتى وإن كانوا مجتمعين.

المظهر الثاني: طلب من المخاطبين إعلان الدعوة لغيرهم لحشد ما استطاعوا من الشهداء لمناصرتهم في ميدان التحدي للإتيان بمثل هذا القرآن.

---

[1] انظر: الكشاف (١/ ٩٩).

[2] الكشاف (١/ ١٠١).

المظهر الثالث: القطع والجزم بعدم مقدرتهم على فعل المعارضة للقرآن بـ "لم" في الماضي، و بـ "لن" الذي يفيد النفي في المستقبل (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)، فهو تحدٍّ مستمر إلى قيام الساعة، يقول الرافعي: " فقطع لهم أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبداً، ... وعرفوا أنها تنفي عنهم الدهر نفياً، وتعجزهم آخر الأبد فما فعلوا ولا طمعوا قط أن يفعلوا"[1].

المطلب الثاني: الأسرار البلاغية لآيات التحدي في سورتي يونس وهود.

أولاً: آية التحدي في سورة يونس:

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **يونس: ٣٨.**

افتُتحت سورة يونس في بدايتها بالأحرف المقطعة الدالة على قدرته وتحدّيه للناس كافّة عن أن يأتوا بكلام من جنس هذه الحروف نظماً وبلاغة وبياناً، ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يونس: ١، ثم في أثناء السورة جاء ذكر الاقتراح من المشركين على صاحب الرسالة أن يلغي هذا القرآن ويأتي بقرآن غيره أو يبدله بما يتناسب مع هواهم، فردّ القرآن عليهم وأكّد لهم بأنه لا يمكن أن يبدّله من قِبَل نفسه، وهذا يتناسب مع الآية السابقة لآيتنا هذه: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يونس: ٣٧.

وبعد هذه الآية وردت آية التحدي التي تذكر دعواهم أن القرآن ليس من عند الله، بل هو مفترى بحسب زعمهم وكذبهم، فجاءهم الإنكار في مطلع هذه الآية بدلالة الاستفهام: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}، وهو استفهام يحكم عليه جار الله الزمخشري بأن (أم) تفيد الانقطاع، أي بمعنى بل، والهمزة لإلزام الحجة عليهم، فقال: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) بل أيقولون اختلقه، على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم. أو إنكار لقولهم واستبعاد، والمعنيان متقاربان"[2].

وجزم به أبو السعود أن (أم) منقطعة، وأما الهمزة فقد أحسن القول في بيان المراد منها حين قال: "والهمزةُ لإنكار الواقِع واستبعادِه"[3]، ويزيد الطاهر بن عاشور الأمر إيضاحاً بقوله: "أم للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجيبي، وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون الله"[4].

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، دار الكتاب العربي– بيروت– ط ٨ – ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥م– (ص: ١١٨).

[2] الكشاف (١/ ٥١٧).

[3] تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٤/ ١٤٦).

[4] التحرير والتنوير– محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية– تونس – ١٩٨٤هـ– (١١/ ١٧٠).

والخلاصة أن الاستفهام يفيد الإنكار ويتبعه التعجب، وهذا "من بديع الأسلوب وبليغ الكلام أن قدم وصف القرآن بما يقتضي بعده عن الافتراء وبما فيه من أجل صفات الكتب، وبتشريف نسبته[1] إلى الله تعالى ثم أعقب ذلك بالاستفهام عن دعوى المشركين افتراء ليتلقى السامع هذه الدعوى بمزيدٍ الاشمئزاز والتعجب من حماقة أصحابها"[2].
وآثر القول بالفعل المضارع (يقولون) في قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} لكثرة تكرار هذا القول الشنيع منهم؛ لما هم عليه من البلادة وعدم الفهم، فهو يتجدد منهم من حينٍ إلى آخر بقصد التمادي في السخرية والاستهزاء بصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.
ثم خرجوا عن مقتضى الظاهر من الكلام الذي يقتضي أن يعبروا بتاء الخطاب (افتريْتَه) فيعدلون إلى هاء الغيبة (افتراه) وفي هذا إمعان منهم في كراهية مواجهته عليه الصلاة والسلام بأنه مفترٍ حتى في سياق النفي.
والأمر في قوله: (فأتوا بسورة مثله)، ليس بمعناه الحقيقي وهو "طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام"[3]؛ إذ لسنا مكلّفين بالإتيان بمثل هذا القرآن، وإنما هو أمر على وجه التحدي والتعجيز؛ ليظهر مدى عجزنا عن أن نأتي بمثل القرآن في حسن نظمه وبلاغته، ثم نكّر (سورةٍ) للتقليل، إمعاناً في التحدي، بمعنى لستم بقادرين حتى على الإتيان بأقصر سورة مهما بلغت بلاغتكم وقدرتكم على البيان وحسن القول.
ثم يأتي بأمر آخر لتأكيد التعجيز (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، حيث وُصلت هذه الجملة بما قبلها؛ إذ هي جملة معطوفة على الأمر السابق(فأتوا)، وهما مشتركتان في أن كليهما مقول القول (قل).

ثانياً: آية التحدي في سورة هود.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ **هود:١٣**

تصدّرت سورة هود كذلك بالحروف المقطعة (الر) الدالة على تمام التحدي والإعجاز، وأن هذا القرآن منظوم ومسبوك من مجموع الحروف الهجائية التي أنتم تتحدثون بها أيها العرب، وتتفاصحون في نظمها وتدبيجها شعراً ونثراً وخطباً.
ثم أكدت بقية الآية: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود: ١، معنى عظمة القرآن ومدى إحكامه وتفرده في تفصيل نظمه وسبك كلِمه وترابط جمله وآياته، فلا عجب فهو من لدن من هو قد بلغ الغاية القصوى في الحكمة والخبرة والإجادة سبحانه وتعالى.

---

[1] في الكتاب (نسبة إلى الله) ولعل الصواب هو (نسبته).
[2] التحرير والتنوير (١١/ ١٧٠).
[3] ينظر: جواهر البلاغة – أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت (ص: ٧١).

ثم إنه سُبقت آية التحدي هذه التي بين أيدينا بقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾ هود: ١٢، وهي آية تتحدث عن الضيق والحرج الذي يدور في صدر صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام من جراء تكذيب المشركين له والإتيان بمقترحَين هما في غاية السخافة والحمق وهما:

– إنزال كنز من السماء يكون بين يديه شاهداً على صدق رسالته.

– أو المجيء بملك معه يؤيد دعواه ويؤكد صدق الوحي المنزل عليه من ربه.

ثم انتقل النظم الحكيم إلى آية التحدي والإعجاز مستفتحاً ذلك بالاستفهام الإنكاري التعجبي، المعهود الذي مر معنا في آية سورة يونس {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}، وفيه أسلوب الالتفات المحكم من الخطاب في نهاية الآية السابقة (إنما أنت نذير) إلى الغيبة في قوله (افتراه) وسر التحدي بهذا كراهة إسناد الافتراء إلى صاحب الرسالة مواجهة، وتنزيهه عن الكذب والافتراء، بل هو محصور ومقصور على الإنذار فحسب.

ثم يأتي بعد ذلك بطلب التحدي بالفعل المعهود (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)، فهو أمر يفيد التعجيز بإتيان مثل هذا القرآن في الفصاحة وحسن النظم.

وتأكيداً لهذا التعجيز جاء هنا بتحديد العدد (عشر سور) ثم إنه حتى وإن حصل ذلك منكم أيها المخاطبون فإن ذلك لن يخرج عن كونه مجرد افتراء واختلاق منكم؛ فلذا جاء الوصف بقوله (مفتريات)، وهو كله من باب مجاراة الخصم في دعواه بحيث يتوصل بعد ذلك إلى أن يلزم نفسه بالكذب والإفتراء.

يوصل بعد ذلك جملة (وادعو من استطعتم) بما قبلها وهو فعل الأمر (فأتوا) لما بينهما من الترابط والانسجام، فالأولى إنشائية والثانية إنشائية كذلك، إلا أن الأولى المخاطب بها هم المكذبون للقرآن أنفسهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، بينما الجملة الثانية المخاطب هم المكذبون وهم مدعوون لأن يحشدوا ويجمعوا من شاءوا لمعارضة القرآن، فلهم أن يستعينوا بمن أرادوا ليصلوا إلى مرادهم وهدفهم، إن كانوا صادقين في تكذيبهم، حيث جاء فعل الأمر (ادعوا) ليحقق ويؤكد التحدي بدائرة أوسع، ليس فقط المخاطب بل ادعوا من تستطيعون في نصرة حجتكم، وهذا يدل على ضعف حجتهم ووهنها وأن القرآن حق من عند الله تعالى.

ثم جاء العطف بالفاء الدال على الترتيب والتعقيب، بمعنى أنه لن يستجيب لكم أحد أيها المخاطبون، فهو أمر مفروغ منه، لا داعي للجدل فما عليكم إلا أن تذعنوا وتستيقنوا أنه من عند الله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)، فهو أمر للمؤمنين بأن يثبتوا على صدق اعتقادهم أولاً، وأمر تحقيق للمشركين ثانياً بأن يتحقق لديهم أنما أنزل هذا القرآن بعلم الله، وأنه المعبود الحق والمألوه سبحانه.

ثم تختتم الآية بالاستفهام (فهل أنتم مسلمون) أي داوموا على إسلامكم واعتقادكم أيها المسلمون، أو ليتحقق الإسلام في نفوسكم أيها المشركون، فهو استفهام غرضه البلاغي الأمر، بمعنى (أسلموا).

وتأمل بلاغة النظم وتسلسل الحجة في سياق الآيتين؛ ففي البداية يعرض عليهم ذلك التحدي ثم يدعوهم للاستعانة بمن شاءوا ليقفوا معهم مكذبين، ثم إن لم يستجيبوا لكم فلابد أن تتيقنوا بصدق القرآن وتسلموا بهذه الحجة الدامغة، يأتي بعد ذلك السؤال المزلزل لهم، الذي هو بمعنى: أسلموا وصدّقوا بكون القرآن من عند الله وأن الله –سبحانه– هو المعبود الحق.

مظاهر التحدي والإعجاز في الآيات السابقة:

المظهر الأول: الإعلان بلفظ "قل" في آيتي السورتين السابقتين، ثم التأكيد بفعل الأمر الدال على التحدي وإظهار عجز المخاطبين "فأتوا".

المظهر الثاني: دعوة للمخاطبين بأن يستعينوا بمن شاءوا، لمناصرتهم في ميدان التحدي والبيان (وادعوا من استطعتم) في كلتا الآيتين، كما ذُكر في آية البقرة.

المظهر الثالث: في الآية الأولى: الجزم والقطع من الله تبارك وتعالى بأن المخاطبين كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، فهم ليس لديهم علم بحقيقته وعلمه وإعجازه وإخباره بالغيب، ولا علم لهم بما أودع الله فيه من علوم كثيرة.

أما الآية الثانية في سورة هود فجاء بحمل المخاطب على اليقين بأن القرآن الكريم أُنزِلَ بعلم الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، بل علمه حق لا مرية فيه، فإذا لم يستجيبوا لكم فتيقنوا بأن هذا العلم من الله وهو حق بأنه متى (.. لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ...).

المطلب الثالث: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة الإسراء.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ **الإسراء: ٨٨.**

هذه الآية ذُكرت في سورة الإسراء التي لم تفتتح بالحروف المقطعة كما هو معهود في السور السابقة لآيات التحدي، وإنما جاء التحدي فيها من نوع آخر؛ وذلك بأن صُدّرت السورة بالحديث عن معجزة حسية جسدية وهي معجزة الإسراء والمعراج، الإسراء إلى بيت المقدس، ثم العروج به عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى في ليلة واحدة، وهذا أمر خارق للعادة وخارج عن قدرة البشر، مثله مثل هذا التحدي –الذي بين أيدينا– الخالد والمستمر إلى قيام الساعة.

فبعد أن تعرّض لذكر المعجزة الحسية الجسدية في صدر السورة يأتي الحديث عن القرآن وإعجازه تدعيماً وتأكيداً لصدق صاحب الرسالة، وأن هذه المعجزات الحسية ما هي إلا تدعيمٌ وتأكيدٌ لموقفه، وأن القرآن حق من عند الله إخباراً بالغيب، وإظهاراً لعدم قدرة الثقلين الإتيان بمثله.

وفي أثناء السورة جاء التهديد والوعيد من الله لصاحب الرسالة في الآية التي قبل هذه بأنه إن شاء سبحانه أن يُذهب عنك ما أوحي إليك ثم لن تجد لك نصيراً ومعيناً، بل هو محض رحمة من الله وفضل: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ الإسراء:

٨٦ ٨٧، بمعنى آخر: أنه سبحانه لما ذكر منّته على نبيه ﷺ بالنبوة بإنزال وحيه وباهر قدرته بأن لو شاء لأذهب ذلك الوحي، فيذكره الله في هذه الآية التحدي المعجز والخالد والدليل على نبوته الباقي بقاء الدهر[١]، وهو القرآن الذي أعجز الله به الثقلين الإنس والجن.

وافتُتحت الآية بلفظ (قل) للدلالة على أهمية هذا القول، وأنه حري أن يقال وأن يُعلن هذا التحدي، بمعنى: قل ذلك متحدياً وواثقاً من نفسك دون تردد، فالقدرة الإلهية تؤيدك وتنصرك وتؤكد لك بأنه تحدٍّ كبير ينبغي أن يسمع به الجميع أنه لن يقدر أحد الإتيان بمثل هذا القرآن ولو اجتمع من اجتمع، ولو تمّت الاستعانة بالإنس جميعاً أو بالجن جميعاً، فبلاغة هؤلاء جميعاً لا تساوي شيئاً أمام بلاغة القرآن الكريم في نظمه وسبكه وبيانه وبديعه.

ثم إنه حشر كثيراً من المؤكدات ليؤكد عدم مقدرة الثقلين الإتيان بمثل هذا القرآن حتى وإن اجتمعوا عن بكرة أبيهم؛ حيث وطّأ الكلام بلام القسم وهي بمعنى: والله لئن اجتمعت الإنس والجن على ...

ثم قال: (إن) الشرطية التي تفيد الشك والمراد: على افتراض أنه لو اجتمعت الإنس والجن ببلاغتهم وفصاحتهم وبيانهم للإتيان بمثل هذا القرآن لما استطاعوا، وعزّز هذا التأكيد بالقطع والجزم (لا يأتون بمثله)، وهو جواب شافٍ قاطع لكل الشكوك والأوهام ولكل من يفكر في محاولة الإتيان بشيء من ذلك.

ثم إنه قال (اجتمعت) ولم يقل (تواطأت أو توافقت)، بل هو اجتماع يحمل كل معاني التداعي والاتفاق والأخذ بالرأي من هنا وهناك.

ويذكر الطاهر ابن عاشور أن الاجتماع هو اجتماع اتفاق واتّحاد الرأي وليس اجتماع تعاون فيقول عن التعبير بلفظ (اجتمعت): هو "اجتماع الاتفاق واتحاد الرأي، أي لو تواردت عقول الإنس والجن على أن يأتي كل واحد منهم بمثل هذا القرآن لما أتوا بمثله. فهو اجتماع الرأي لا اجتماع التعاون..."[٢].

والتحدي حاصل من جميع الثقلين في الرأي وفي الواقع، حيث لم نجد أحداً أتى بمثله وهذا يمثل اتّحاداً في الرأي وإجماعاً ضمنيا أنه لا سبيل لأحد الإتيان بمثله، بل وإن تعاون الإنس والجن على مرّ العصور حتى قيام الساعة.

والتحدي هو قائم سواء قُصد به أنه اجتماع اتفاق واتّحاد الرأي أو قصد به اجتماع تعاون وتواطؤ.

وقدّم لفظ (الإنس) على (الجن) لكون الإنس أقدر على ذلك، وملكتهم ومقدرتهم على البيان والفصاحة كانت ظاهرة وجلية، ومتمثلة في فصاحة العرب ومقدرتهم على الإتيان بفصيح الكلام كالمعلقات السبع والتفاخر بإجادة الكلام وتدبيجه وصياغته.

وممكن القول لكون حرص الإنس على المعارضة كانت واضحة وجلية؛ من أجل هذا حاربوا النبي ﷺ وقاتلوه معركة تلو معركة، وغزوة تلو غزوة، وسلكوا هذا الطريق الصعب والشاق بدلاً من القبول بهذا التحدي.

---

[١] ينظر: البحر المحيط – أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، دار الفكر – بيروت – ط: ١٤٢٠هـ (٧/ ١٠٨).

[٢] التحرير والتنوير (١٥/ ٢٠٢).

في حين الجن لم يشتهر عنهم بلاغة الكلام وفصاحته كشهرة قريش والقبائل المجاورة لها، ثم إنه لم يقاتلوه عليه الصلاة والسلام، وإنما غاية ما يصل بهم الحال إلى الوسوسة والتحريض والتزيين لبني البشر، حتى إنه وُجِد من الإنس من حاول معارضة القرآن ومحاكاته مدعياً قدرته على الإتيان بمثله، وكان كل ذلك افتراءً وزوراً، بل أصبح بعد ذلك كلامه مضرباً للسخرية والاستهزاء ككلام مسيلمة الكذاب وسجاح وغيرهما.

وحرف الجر (على) التعبير به مشعر بالاستعلاء وشدة الحرص من قبل هؤلاء المجتمعين من الثقلين للإتيان بمثل القرآن الكريم، وهو أبلغ من حرف الجر اللام الدال على الملكية أو التعليل.

(على أن يأتوا بمثل هذا القرآن)، الإتيان من عند أنفسهم على سبيل المعارضة والقبول بالتحدي، وهنا عرّف لنا القرآن الكريم وأشير إليه باسم الإشارة (هذا) المشعر بعظمته وعلو شأنه ومنزلته، وأنه بلغ الغاية القصوى في البلاغة والبيان، وأضف إلى ذلك "تنبيهاً على أن ما يقوله ﷺ عن الله وحي من الله، ليس شيء من عند نفسه"[1].

وتأمل بلاغة النظم في هذا الجواب: (لا يأتون بمثله) فيأتي الجواب مباشرة، فهو جواب قاطع وشافٍ وكافٍ، بل وتمّ الفصل بين الجملتين لما بينهما من كمال اتّحاد واتصال؛ إذ الجملة الثانية جواب للأولى.

ثم إنه ذكر المسند في قوله: (أن يأتوا بمثل..)، ثم أعاد ذكره مرة ثانية (لا يأتون بمثله) لأنه محط التعجب وكمال التعجيز للمخاطبين، فلا بد من ذكره مرة أخرى زيادةً في تقريره في ذهن السامع حتى يستقر المعنى في النفس أنه لا مقدور لأحد الإتيان بمثل هذا القرآن.

وإظهار لفظ (بمثله) في قوله: (يأتون بمثله) موضع الإضمار بعد قوله: (يأتوا بمثل) لإبراز كمال التحدي وإظهار عجز الثقلين عن محاولة الإتيان ولو بشيء يسير من المشابهة أو المماثلة بأي صفة كانت، يقول الشيخ محمد الأمين الشافعي: "لدفع توهم أن يكون له مثل معين، وللإشعار بأن المراد نفي المثل على أي صفة كان"[2].

ثم اختتمت الآية بالجملة الحالية: (ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً) وهي حالية من الضمير في (لا يأتون) والجملة بمجملها تأكيد معنى الاجتماع المدلول عليه في بداية الآية (اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بمعنى حتى وإن تعاون وتظافر الثقلان على المجيء بمثله لا يمكنهم ذلك، وهذا غاية في الإفحام والتحدي.

مظاهر التحدي والإعجاز في الآية:

المظهر الأول: لفظ (قل) فالأمر هنا حقيقي؛ بمعنى أن الله تعالى طلب فعل القول على وجه الاستعلاء والإلزام لصاحب الرسالة ولمن يبلغ من بعده، إضافة إلى ذلك أن هذا الأمر فيه دلالة إيحائية وهي الإشارة إلى عِظَم هذا القول، وأنه حريّ به أن يُعلن ويقال، ففيه من الأهمية الشيء الكثير.

---

[1] نظم الدرر (١١/ ٥٠٨).

[2] تفسير حدائق الروح والريحان، الشيخ محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – ط ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م –(١٦/ ٢١٣).

المظهر الثاني: من مظاهر التحدي هو ذكر عدة مؤكدات (اللام الموطئة للقسم)، و(إن) المفيدة للشك، وكذلك تكرار فعل عدم استطاعة الإتيان بمثل القرآن (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله).

المظهر الثالث: هو طلب التحدي الجماعي للثقلين صراحة، وليس محصوراً على المخاطبين فحسب، بل حتى لو اجتمع فصحاء أهل الأرض والسماء من الإنس والجن فلن يستطيع أحدٌ منهم الإتيان بشيء يماثل أو يشابه كلام الله تعالى.

المطلب الرابع: الأسرار البلاغية لآية التحدي في سورة الطور.

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور:٢٣- ٣٤

سورة الطور بُدئت بالقسم تلو القسم، والمقسم به متعدد، منها جبل الطور الذي كان فيه إنزال كثير من الآيات على نبي الله موسى عليه السلام، ثم أقسم الله تعالى بالكتاب الذي أنزل على خاتم الأنبياء وهو القرآن العظيم، الدال على عظمته التنكير في لفظ (كتاب)، فهو كتاب عظيم المنزلة والقدر، فهو في الأرض مكتوب يقرأه كل مؤمن من المصاحف، وهو مقروء من قبل الملائكة في اللوح المحفوظ في السماء.

ثم تعرّضت السورة إلى الحديث عن إثبات صدق النبوة مستطردة بتلك الاستفهامات الإنكارية ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ... أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الطور: ٣٠+٣٢، ثم يأتي الاستفهام آخر في الآية التي تسبق آية التحدي وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الطور:٢٣، فهو استفهام إنكاري على النبي ﷺ، كيف يفتري المشركون عنه بأنه يتقوّل القرآن من تلقاء نفسه ثم ينسبه إلى الله، ثم يضرب النظم الكريم عن هذا وينتقل إلى تقرير سبب كفرهم وهو التولي وعدم إيمانهم وتصديقهم بالوحي المنزل عليه من الله تعالى.

ثم تأتي بعد ذلك آية التحدي: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٤، ويعطف بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب مباشرة، بمعنى إن كنتم تعتقدون افتراءه للقرآن – كما تزعمون– فأتوا بمثل هذا القرآن وأنتم أرباب الفصاحة والبيان.

وصيغة الأمر هنا جاءت بصورة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (فليأتوا)، وهل هذا الأمر حقيقي أم أنه مجازي؟ وفيه أقوال:

القول الأول: يذكر الرازي في تفسيره أن الأمر هنا على حقيقته، بمعنى طلب فعل الإتيان على وجه الاستعلاء والإلزام، فالطلب قائم من الله تعالى لهؤلاء المشركين المكذبين بأنه إن كان القرآن متقوّل من صاحب الرسالة إذن فلتأتوا بمثله على وجه الأمر الحقيقي الدال على الاستعلاء والإلزام، وعلّل الرازي كلامه فقال: "والظاهر أن الأمر هاهنا مبقي على حقيقته لأنه لم يقل: ائتوا مطلقا بل إنما قال: ائتوا إن كنتم صادقين، وعلى هذا التقدير ووجود ذلك الشرط يجب الإتيان به وأمر التعجيز في كلام الله تعالى قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ البقرة: ٢٥٨، وليس هذا بحثا يورث خللاً في كلامهم"[١].

والقول الثاني: أن الأمر هنا للتعجيز، بمعنى لإظهار عجز المخاطبين عن الإتيان بمثل القرآن، وهذا ما يُفهم من كلام أبي حيان في قوله: "ثم عجزهم بقوله تعالى: (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)، أي مماثل للقرآن في نظمه ووصفه من البلاغة، وصحة المعاني والإخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات، والحكم إن كانوا صادقين في أنه تقوله، فليقولوا هم مثله، إذ هو واحد منهم، فإن كانوا صادقين فليكونوا مثله في التقول"[٢]، ورجح هذا الأمر الماتريدي، بل وأنكر أن يكون الأمر هنا حقيقياً، وعلّل ذلك بتساؤله: كيف يمكن أن يأمر الله تعالى المخاطبين المكذبين ويكلفهم بالإتيان بشيء مفترى ومكذوب؟ فقال: "قوله: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) وإن خرج مخرج الأمر في الظاهر، فهو في الحقيقة ليس بأمر؛ لأنه لا يحتمل أن يأمرهم أن يأتوا بالكذب والافتراء، ثم هذا يخرج على وجهين:

أحدهما: على الإعجاز عن أن يأتوا بمثله.

والثاني: على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله – ﷺ– من الافتراء والتقوّل، والله أعلم"[٣].

وعند التأمل في بلاغة هذه الآية نجد أن الأمر محتمل هنا في أنه حقيقي في كونه صادراً من الله تعالى مخاطباً المكذبين المشركين في صدد المحاججة والمناظرة، بمعنى على افتراض أنه متقوّل من صاحب الرسالة[٤] فما عليكم إلا أن تأتوا بحديث مثله مفترى ومزعوم منكم.

وممكن القول بأنه ليس حقيقياً، من حيث إن المخاطبين المكذبين هم ليسوا في حقيقة الأمر أهلاً لأن يأتوا بمثل القرآن، بل هم عاجزون عن الإتيان بمثله، وأن فصاحتهم وبلاغتهم ممكن تعينهم على فهم مدلول كلام الله تعالى فقط، ولن يصل بهم الحال إلى الإتيان بمثله.

ومما يدعّم هذا القول بأن الأمر هنا جاء في سياق المحاججة والمجادلة حيث سُبق باستفهامات مجازية عدة تفيد الإنكار (أم تأمرهم أحلامهم بهذا..* أم يقولون تقوّلوه...)، وتبعه كذلك استفهام أنكاري ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور: ٣٥.

---

[١] مفاتح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣ – ١٤٢٠هـ (٢٨/ ٢١٥).

[٢] البحر المحيط (٩/ ٥٧٤).

[٣] تفسير الماتريدي، محمد بن محمد، أبو منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م –(٩/ ٤٠٩).

[٤] – جاء معنى هذا في معرض الاستفهامات للآية السابقة.

وخلاصة الكلام أن الأمر هنا ممكن أن يكون حقيقياً في كون المكذبين مخاطبين بدليل على أن هذا القرآن متقوّل ومفترى، وهو في حدّ ذاته أمر متحدًّى به المخاطبين المكذبين في كون سياق الآية أظهر مدى عجزهم عن الإتيان بحديث مثله، بل وأبرز ذلك للناس كافة بهذا الأمر مبالغة في الإهانة لهم والتهكم بهم وإفحامهم.

والمعنى العام: أن لسانكم أيها المكذبون مثل لسان صاحب الرسالة، فإن قدر هو على الافتراء فتقدرون أنتم على الافتراء مثله، لا سيما وأنتم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان[1].

ثم إنه لا يمنع أن يتعدد الغرض البلاغي أو المعنى المجازي للآيات القرآنية، فالقرآن حمّال وجوه، وهذا من عظمة القرآن الكريم وبلاغة نظمه أن يأتي السياق الواحد يحتمل عدة معانٍ في الوقت نفسه، ومثل هذا الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ البقرة: ٢٥٥، فغرضه البلاغي المجازي النفي والمعنى: لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، وله غرض آخر هو التعظيم لله تعالى بأن لا يمكن أن يحصل مراد الشفاعة إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

ثم خصّ السياق آية التحدي هنا بلفظ (بحديث) دون غيره مثل: خبر؛ لكون الخبر هو القول الذي يصح وصفه بالصدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك، وأصله هو الإخبار عن غيرك، بينما الحديث هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمي حديثا لأنه لا تقدم له، وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به، وهذا هو شأن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام الذي حدث له الوحي في نفسه فحدّث به غيره؛ فلذا يصح أن يقال: فلان حدّث عن نفسه بكذا، ولا يقال يخبر عن نفسه[2].

و(الحديث) الإخبار بالحوادث، وأصل الحوادث أنها الواقعات الحديثة، ثم توسعت فأطلقت على الواقعات ولو كانت قديمة، فيجوز أن يكون الحديث هنا قد أطلق على الكلام من باب المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق، أي فليأتوا بكلام مثله في أي غرض من الأغراض التي يشتمل عليها القرآن.

ويجوز أن يطلق الحديث على الأخبار، أي فليأتوا بأخبار مثل قصص القرآن الكريم[3]، وتأمل جمال هذا الإطلاق وكأنه تهكم بالمخاطبين بأنهم لن يستطيعوا الإتيان بشيء يشبه القرآن سواء صح الإطلاق عليه بأنه كلام، أو صح أن يطلق عليه بأنه خبر، بل جاء اللفظ فوق هذا منكّراً بالتنوين (بحديثٍ) للتحقير من شأن المخاطبين في كونهم لن يقدروا على الإتيان بأصغر شيء مما يطلق عليه كلام أو خبر يشابه القرآن أو يماثله، وكل هذا زيادة في الحط من منزلتهم والتبكيت بهم.

---

[1] ينظر: تفسير الماتريدي (٦/ ١٠٦).

[2] معجم الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» – ط١، ١٤١٢هـ (ص: ٢١١).

[3] انظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٦٦).

مظاهر التحدي في الآية:

المظهر الأول: الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر (فليأتوا)، الدال على الأمر الحقيقي والأمر المجازي معاً، وهذا مما اختصّت به هذه الآية، بأن جاءت صيغة الأمر فيها تحمل الوجهين معاً: أنه أمر حقيقي بمعنى أن المخاطبين ملزمون بالإتيان بحديث مثل هذا القرآن كدليل إثباتي بأن هذا القرآن مفترى أو متقوّل.

وهو أمر تعجيزي، من حيث هو إظهار مدى عجزهم في كونهم لن يستطيعوا ذلك.

المظهر الثاني: تنكير لفظ (بحديثٍ) للإشارة إلى عدم قدرة المخاطبين الإتيان ولو بأدنى شيء مما يطلق عليه كلام أو حديث أو خبر.

المبحث الثاني: أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين آيات التحدي.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق الدلالي والأسلوبي بين آيات التحدي:

الوجه الأول: الاستفهام الاستباقي الإنكاري.

رافقت الاستفهامات الإنكارية ثلاثة مواطن من مواضع آيات التحدي، وكان منها آية يونس: "أم يقولون افتراه..."، فهو إنكار للمشركين المكذبين كيف يدّعون بأن هذا القرآن مفترى من صاحب الرسالة محمد ﷺ؟!

وهو إنكار للتكذيب في الحال والاستقبال من كثرة مقولة مشركي العرب عن القرآن الكريم،

وتكرر هذا الإنكار في سورة هود أيضاً بهذا الفعل المضارع (يقولون) الذي يدل على تجذر وعمق ما في نفوسهم من التكذيب والإعراض، فهم يتقوّلون هذا القول في الحال والاستقبال، وقد استساغوه حتى أصبح شعاراً لهم أن هذا القرآن مجرد افتراء وكذب من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

أما آية الطور فقد سبقتها عدة استفهامات: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الطور: ٣٢+٣٣، والمعنى: أهؤلاء يدّعون كذباً وزوراً بأن النبي ﷺ اختلق القرآن وتقوّله من تلقاء نفسه؟ ثم بعد أن كشف عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن بآية التحدي أنكر قدرتهم على أن يكون لهم أثر ما في صنع أنفسهم وخلقها: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الطور: ٣٥.

والملاحظ أن النظم الكريم بعد الاستفهامات الإنكارية يتبعها بآيات التحدي حتى تزيل ذلك الإنكار والتعجب، وتوقع المخاطبين في شباك العجز، وتحصرهم في زاوية المواجهة والتحدي، فأمامهم أحد أمرين: إما أن يقبلوا بهذا التحدي ويأتوا بمثل القرآن نظماً وبلاغة وبديعاً... وإما أن يذعنوا ويؤمنوا بكلام الله تعالى، وأنه منزّل منه سبحانه وتعالى على قلب محمد ﷺ.

الوجه الثاني: توافق جميع الآيات على لفظ فعل الأمر الدال على التعجيز (فأتوا).

الإتيان في اللغة: المجيء بسهولة[١]، وهذا الفعل له مدلول حيث لم يقل مثلاً: (فليقولوا مثله)، يعلّل ذلك ابن عاشور بقوله: "لقصد الإعذار لهم بأن يقتنع منهم بجلب كلام مثله ولو من أحد غيرهم "[٢]، وهذا تعليل جيد بمعنى: أنه عذر لهم، فحري بهم أن يقتنعوا إن لم يستطيعوا المجيء بمثل هذا القرآن، فلهم أن يجلبوا من شاءوا من الفصحاء والبلغاء ليحاولوا، فلا عذر لهم عند ذلك، فالتحدي قائم للمخاطبين ولمن أرادوا أن يستعينوا بهم بشراً كانوا أم جنّاً، عرباً كانوا أم عجماً.

وورد لفظ (الإتيان) في القرآن لعدة معانٍ وجميعها لا تخلو من المجيء بسهولة ويسر، فجاء بمعنى (سَوْق الرزق) قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ النحل: ١١٢، أي: يسوقه شيئاً فشيئاً، وفيه سهولة ويسر، وبمعنى الانقياد والطاعة: ﴿ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: ٩٣، وفيه سهولة العبادة ويسرها، وبمعنى الدخول: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ البقرة: ١٨٩، وفي ذلك من الرفق ما فيه، بينما الفعل (جاء) استعمله القرآن الكريم في الصعوبة والمشقة[٣]: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ المؤمنون: ٢٧، وهو مجيء فيه مشقة وشدة، و﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ﴾ ق: ١٩، وفيه شدة وغلظة، ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ مريم: ٨٩، أي: جاءوا بشيء عظيم وشنيع، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴾ الإسراء: ٨١، ومجيء الحق فيه شدة وغلظة لما فيه من إزهاق الباطل ودمغه.

ولم تُخصّ آيات التحدي بالفعل (أعطى) إذ الإعطاء أقوى من الإيتاء، فالإعطاء دليل التمليك[٤] بخلاف الإيتاء، قال الله تعالى في الحديث عن الكوثر: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ الكوثر: ١، أي: ملّكناك الخير العظيم والكثير.

من أجل هذا خُصّ دفع الصدقة بالإيتاء لما فيه من يسر من صاحبها دون تطلع إلى ما يدفعه، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ البقرة: ٤٣، بخلاف الجزية التي فيها من الغَلَبة والإلزام والتطلع إلى المال من قِبَل الذي يدفعه، قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩؛ لذا يقول الزبيدي: "ولذا خُصّ في دفع الصدقات الإيتاء ليكون ذلك بسهولة من غير تطلع إلى ما يدفعه"[٥].

---

[١] المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهانى)، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – ط١– ١٤١٢هـ (ص: ٦٠).

[٢] التحرير والتنوير (٢٧/ ٦٦).

[٣] انظر: لمسات بيانية، فاضل بن صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن– ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م (ص: ٩٧).

[٤] معجم الفروق اللغوية (ص: ٨٦).

[٥] تاج العروس – محمّد بن محمّد، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية – (٣٧/ ٣٤).

الوجه الثالث: الدعوة للتحدي الجماعي.

مر معنا أن الخطاب الجماعي والدعوة الجماعية في آيات التحدي كانت من أبرز مظاهرها، حيث جاء الخطاب للفئات المكذبة حتى وإن أرادوا أن يستعينوا بمن شاءوا، فجاء في آية سورة البقرة: (وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ)، وفي يونس وهود: (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، وفي الطور بواو الجماعة {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} [الطور: ٣٤]، بل وجاء التصريح في آية الإسراء باجتماع الثقلين، معلنة ذلك التحدي بصوت مدوٍّ يسمعه القريب والبعيد، والإنس والجن، والعرب والعجم، والمؤمنون والكفار قاطبة، فهو تحدٍّ تجاوز الأمصار والأقطار والجغرافيا المحيطة بنا نحن البشر إلى عالم الجن، الذين لهم قدرات خارقة وأمور غريبة، يعجز عنها عامة البشر: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ الإسراء: ٨٨.

الوجه الرابع: تأكيد التحدي.

في سورة الإسراء جاءت الآية: (لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) وهو قطع عليهم، وإخبار بعجزهم، بمعنى لن يستطيعوا الإتيان بمثله؛ لأنه هناك فرق بين كلام الخالق سبحانه العليم بكل شيء وبين كلام البشر، بل حتى وإن اجتمع الثقلان بأجمعهم لمحاكاة هذا القرآن لا يستطيعون ذلك، وفي آية سورة البقرة التي هي آخر ما نزل من آيات التحدي يأتي التعبير بصيغة الجزم بأنه لم تستطيعوا الإتيان بمثله فيما سبق وأنتم أرباب البيان والفصاحة والبلاغة، بل وأذعن مشركو قريش لفصاحته وبلاغته آنذاك حتى وَسَموا صاحب الرسالة بالشعر والكهانة والسحر.

وأخبر كذلك – في آية البقرة– بأنه لن يستطيع أحد في المستقبل بـ (لن) المفيد التأبيد (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ)، وهذه معجزة أخرى فوق عدم مقدرتهم للإتيان بمثله في السابق، إنها معجزة الإخبار الغيبي من الله تعالى بأنه لن يتم ذلك في المستقبل، وإلى الآن لم يحصل ذلك.

إذن تأكيد التحدي هنا من أمرين:

الأمر الأول: إعلان عدم مقدرة المخاطبين الإتيان بمثل هذا القرآن.

الأمر الثاني: الإخبار الغيبي بأن ذلك لم يكن في الماضي ولن يكن كذلك في المستقبل أبداً بصريح قوله تعالى: (ولن تفعلوا) أي في المستقبل.

الوجه الخامس: أسلوب التكرار.

التكرار المقصود في آيات التحدي هو تكرار الألفاظ والعبارات بحيث لوحظ تكرار أفعال خاصة، فتارة يكرر الفعل الماضي، وتارة يكرر الفعل المضارع، وأخرى يتكرر فعل الأمر..

مع العلم أن الباحث تتبع الألفاظ والعبارات التي تكررت في جميع آيات التحدي، وفي السطور الآتية عرض لأهم المعاني والدلالات الأسلوبية التي أداها هذا التكرار:

أولاً: التأكيد على حصول الشك والريب من قِبل المشركين المكذبين للقرآن الكريم، وأن ذلك حاصل منهم على جهة القطع والجزم، بل على سبيل الإنكار والتكذيب.

تكررت ألفاظ الشك في بداية آيتي يونس وهود بلفظ (الافتراء): "أم يقولون افتراه.." وفي آية الطور موجود نفس الشك والريب بلفظ (التقوّل) حيث قال: "أم يقولون تقوله.."، بينما في سورة البقرة فقد افتتحت بهذا المعنى (الريب) "وإن كنتم في ريب مما نزلنا.."، وكل هذه الألفاظ تبين وتؤكد مدى تكذيب المشركين للوحي القرآني وعمق إصرارهم على ذلك.

ومن الألفاظ التي تكررت في آيات التحدي، وكانت تمثل عنصراً رابطاً لجميع الآيات، وفيها كذلك لفت انتباه للمخاطب إلى أسلوب معين موحّد، لا سيما في الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث هي الأفعال الآتية (يقولون) في قوله تعالى: "أم يقولون.."، في سورة يونس وهود والطور كذلك، فقد مثّل ذلك الإصرار والاستمرار في تكذيب المشركين لهذا الوحي الإلهي المنزل من عند الله تعالى.

ثم اختتمت آية سورة البقرة التي هي آخر ما نزل منها بالقطع والجزم بالفعل المضارع "لم تفعلوا ولن تفعلوا" بالفعلين المضارعين الدالين على عدم مقدرة المخاطبين الإتيان بمثل القرآن في الحال والاستقبال.

ثانياً: إبراز معنى التحدي في آيات التحدي ودعوة جميع الثقلين إلى قبوله.

ومن الملامح الأسلوبية التي انتشرت في آيات التحدي تكرار فعل الأمر الذي شكل جانب التحدي وأظهر بشكل لافت للانتباه، حيث تكرر فعل الطلب التعجيزي: "فأتوا" في آيتي يونس وهود، وفي سورة الإسراء "قل لئن اجتمعت"، وفي سورة الطور "فليأتوا"، بالفعل المضارع المقترن بلام الأمر الذي هو أحد صيغ الأمر في الإنشاء الطلبي، وكلها تبرز مدى عظمة هذا التحدي، وأنه مؤكد عدة مرات، ولم يأت مرة واحدة فقط على سبيل غير الجزم.

ثم إنه أُكد هذا التحدي بفعل أمر آخر، داعياً الجميع المشاركة في محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن: "وادعوا شهداءكم"، كما في البقرة، و"وادعوا من استطعتم من دون الله" كما في آية يونس وهود، وفوق ذلك خاطب في آية سورة الإسراء الثقلين حتى وإن اجتمعوا وتوافقوا على ذلك فقال: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن"، كل ذلك تعميماً للتحدي وأنه تحدٍّ للجميع؛ أفراداً وأمماً، وإنساً وجناً، وقلة وكثرةً، وعرباً وعجماً، على مر العصور ومختلف الأزمنة.

بمعنى آخر: أن الآيات مثّلت ترابطاً عجيباً في أسلوبها وإحكاماً دقيقاً في اختيار ألفاظها، بل حتى في اختيار حروفها ونغمها الموسيقي لآخر الآيات؛ حيث اختتمت جميعها باستثناء آية الإسراء "إن كنتم صادقين" بالمد العارض للسكون الذي يوحي بعظمة التحدي وامتداده على مر العصور، ويوحي في المقابل بوهن حجتهم وضعف عقولهم.

والتكرار الأسلوبي المنتظم متحقق أيضاً في تكرار حرف العطف الفاء الدال على الترتيب والتعقيب دون غيره من حروف العطف، حيث إن الآيات في صدد الرد على المتشككين في كتاب الله تعالى ومحاولة السرعة في دحض ما بهم من الشك والريب كما في آية البقرة: "فأتوا"، وبعد الاستفهام الإنكاري "أم يقولون افتراه قل فاتوا" كما في آيتي يونس وهود.

أما آية سورة الإسراء فقد جاءت بأسلوب الفصل بين الجملتين "على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله" وترك حرف العطف لما بين الجملتين من كمال اتصال وامتزاج للمعنى، حيث نزّلت الثانية "لا يأتون بمثله" بمثابة التأكيد للجملة الأولى "على أن يأتوا بمثل هذا القرآن" فهما بنفس المعنى.

ثم إنه تكرر حرف العطف الفاء في الآية الثانية من سورة البقرة فقال: "فإن لم تفعلوا.." بأن جاء في معرض حملهم على أن يقرّوا ويعترفوا بأنهم إذا لم يمتثلوا الإتيان بمثل القرآن في الماضي فما الواجب عليهم؟ وما الذي يترتب على ذلك؟ هو أن يتقوا الله ويخافوا من عذاب الله. أما آية سورة هود فقال: إن لم يستجيبوا لذلك "فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله" فما عليهم إلا أن يتيقنوا بأن الوحي منزل من خزائن علم الله.

ثم يختم ذلك بالاستفهام المصدّر بالفاء ليكون غاية في الجمال وحسن الترابط بين الجمل من أولها إلى منتهاها، فجميع الأحداث في الآيات متسارعة ومتتالية، وقائمة على إزالة رواسب الشك وزيغ التردد حيث قال: (فهل أنتم مسلمون).

والرسم البياني الآتي يبيّن وجه المقارنة بين آيات التحدي:

المطلب الثاني: أوجه اختلاف التنوّع بين آيات التحدي.

عند النظر والتأمل في آيات التحدي ستجد اختلاف التنوع بارزاً وظاهراً فيها؛ وذلك لاختلاف الحوادث والنوازل التي كانت تنزل من أجلها، ونظراً لترتيب نزولها واختلاف الغرض للآيات المدنية عن المكية، ثم السياق للآيات وارتباطها بما قبلها وما بعدها، وهذا كله يحتّم المجيء بألفاظ معينة تتناسب مع السياق العام للسورة والسياق الخاص للآيات.

الوجه الأول: ترتيب نزول آيات التحدي والتدرج في التحدي بها.

أول ما نزل من آيات التحدي[1] هي آية الإسراء المكية التي تتحدث عن التحدي للثقلين بالإتيان بمثل القرآن، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ الإسراء: ٨٨.

ثم بعد إلقاء هذا التحدي العام نزلت بعدها آية يونس تتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة وليدعوا من استطاعوا من دون الله، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ٣٨.

ثم نزلت بعد التحدي بسورة واحدة الآية التي في سورة هود بأن يأتي المشركون بعشر سور مثل القرآن مفتريات ومختَلَقات من أنفسهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هود: ١٣.

ثم نزلت بعد ذلك آية سورة الطور التي تتحداهم بالإتيان بمجرد حديثٍ وكلامٍ قصير مثل القرآن، فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٤.

وكل هذه الآيات نزلت في قبل الهجرة، ثم نزلت في المدينة الآية التي في سورة البقرة، التي تحداهم فيها الإتيان بسورة واحدة بمثل القرآن، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٣.

فكانت هذه الآية خاتمة التحدي؛ إذ كانت إنهاءً لهذا الجدل الذي طال، وتحدٍ للمشركين ولأهل الكتاب الذين كانوا يسكنون المدينة المنورة، وتلت هذه الآية آية أخرى أعلنت التحدي المستمر إلى قيام الساعة في عدم مقدرة أحد الإتيان بمثل القرآن مهما بلغت فصاحته وبلاغته بقوله: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا)، فهو قطع للجدل وإبكام للأفواه في عدم مقدرة المخاطبين جناً كانوا أم إنساً الإتيان بمثله، وهو تحدٍّ قائمٍ مستمرٍ إلى قيام الساعة، والواقع يشهد بهذا؛ إذ لم يستطع أحد أن يأتي بمثل القرآن إلى الآن، وهذه معجزة أخرى من حيث كونها إخبار بالغيب بعدم استطاعة أحد في المستقبل الإتيان بمثله، إضافة إلى كون القرآن معجز في كلامه ونظمه وبيانه.

والتحدي في هذه الآيات –كما ترى– جاء مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، وأخرى بعشر سور، وثالثة بسورة، ومنها ما هو التحدي بحديثٍ مثله، والسؤال هنا: هل جاء التحدي متدرجاً من الأكثر إلى الأقل أم لا؟

للعلماء في مراحل التحدي بالقرآن الكريم عدة أقوال:

أولها: وهو قول جمهور علماء التفسير والبلاغة أن التحدي كان متدرجاً من أعلى إلى أدنى، ففي البداية كان بالقرآن كاملاً كما في سورة الإسراء، ثم تحداهم بعشر سورٍ بعد ذلك ثم بسورة واحدة كما في سورة يونس، وأخيراً بحديثٍ مثله فقط كما في آية سورة الطور، ولكن هذا القور لا يتناسب مع ترتيب نزول القرآن الكريم.

---

[1] انظر: الإعجاز البياني للقرآن، عائشة محمد علي عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف – ط٣– (ص: ٦٦)، ومثل هذا المعنى ذُكر في: الموسوعة القرآنية خصائص السور (٤/ ٥٩).

وثانيها: رتب آيات التحدي ترتيب النزول، وأنه متدرجٌ أيضاً، إلا أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سورٍ[1] وفقاً لترتيب النزول المعلوم عند المفسرين.

والذي يظهر أن القولين السابقين قاما على تصور أن الإتيان بمثل القرآن أصعب من الإتيان بمثل عشر سور، وأن الإتيان بعشر سور أصعب من الإتيان بسورة، وهذا كلام غير صحيح؛ إذ قليل القرآن وكثيره معجز؛ فليس الإتيان بسورة منه أسهل من الإتيان بعشر أو العشر أسهل من القرآن كله، بل التحدي في القرآن بالكيف لا بالكم والنوع، فلا يهم إذاً أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله.

وبعض المفسرين المحدثين[2] يقولون: إن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين وظروف القول، فيقول مرة: ائتوا بمثل القرآن كله، أو ائتوا بسورة، أو ائتوا بعشر سور دون ترتيب زمني أو ترتيب كمّي لأن الغرض هو التحدي في حد ذاته.

ثم إنه من المحتمل أن المقصود بسورة واحدة قد يكون سورة من السور الطوال، والعشر السور المقصود من السور القصيرة وهذا ممكن.

وبناءً على هذا فإن القول الثاني هو الأقرب والأصوب، وهو الذي يتوافق مع ترتيب النزول للسور القرآنية الواردة فيها آيات التحدي، بمعنى آخر:

أن ترتيب آيات التحدي آية سورة الإسراء، ثم آية سورة يونس، ثم آية سورة هود، ثم آية سورة الطور، واختتمت بآية سورة البقرة –كما تقدم– والله أعلم.

الوجه الثاني: الفوارق بين آيات التحدي.

يقول تعالى في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾، وفي سورة هود: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

من الفوارق بين آيات التحدي أن في آية البقرة لفظ (من مثله) بينما في آيتي يونس وهود (مثله)، لماذا؟!

في آية البقرة المراد بـ (من مثله) من السياق هو محمد ﷺ، بمعنى: إن شككتم في نبوته وتخصيصه بالنبوة وهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلتأتوا أنتم برجل منكم غيره يصدر منه ذلك الوحي ومن رجل منكم، أي أن (من) هنا تبعيضية.

---

[1] انظر: دراسات في علوم القرآن– أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي – ط١٣– ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م– (ص: ٢٧٠)، وذكر المؤلف قولاً ثالثاً ورجحه، وعند التأمل في القول الذي رجحه تبين أنه يتطابق ويتوافق مع القول الثاني ويؤكده لا غير.

[2] انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط١– ١٤٢٠هـ(٤/ ٦٠).

أما آية يونس وكذلك هود فجاء اللفظ (مثله) بدون (من) التبعيضية حيث جاء التحدي هنا بالإتيان بسورة مثل القرآن في أحكامه وأخباره وفصاحته وبلاغته.

إذن في آية البقرة كان الضمير في (من مثله) يعود على النبي ﷺ، وفي آيتي يونس وهود (مثله) يعود على القرآن بمجمله، فالتحدي في البقرة فأتوا بسورة من رجل مثل محمد ﷺ وهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة، والتحدي في آيتي يونس وهود هو الإتيان بسورة مثل القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته ونظمه[1].

الفرق الثاني: في سورتي يونس والبقرة جاء لفظ (بِسُورَةٍ)، بينما في سورة هود (بِعَشْرِ سُوَرٍ)، ووصفت أيضاً بـ (مفتريات) لماذا؟

لما كان الكلام المفترى والمختلَق أسهل ناسبته التوسعة وهو قوله (عشر سور)، أي وسع لهم في كثرة العدد ليتناسب معهم في الافتراء.

وأما الآيتين الواردتين في سورتي يونس وهود فلم يذكر فيهما شرط الوصف بالمفترى، بل اكتفى فيها بالمماثلة مطلقاً، وهذا أصعب وأشق عليهم مع أنهم عاجزون في كل حال، فوقع التضييق في عدم ذكر الافتراء بسورة واحدة، وحيث التوسعة بوصف (مفتريات) لفظ (عشر سور) ليتناسب كل في موضعه وفي السياق المذكور[2].

أما آية الطور فقال سبحانه: (بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ)، فكان التحدي هنا مطلق التعجيز للمكذبين، ولم يقيده باجتماع كما في آية الإسراء ولأنهم كاذبون في جزمهم ونسبتهم.

ولما كان التحدي في آية الطور مطلقاً في التعجيز (بحديث مثله) أي كلام مثل القرآن الكريم في نظمه وحسن بيانه حتى وإن كان آية واحدة أو بضع آيات، وهذا كله زيادة في التوبيخ وإظهار عجزهم عن الإتيان حتى ولو بآية واحدة فقط؛ وذلك لآن السياق هنا يحتّم زيادة التوبيخ وزيادة التحدي؛ لأن السياق يتحدث عن مجادلة المشركين وعتابهم بقوله: (أم يقولون شاعر..) (أم تأمرهم أحلامهم بهذا..) (أم يقولون تقوّله..) فناسب لهذا السياق أن يأتي زيادة لهم في التوبيخ بأن يأتوا حتى مجرد كلام أو آية أو بضع آيات مماثلة ومشابهة لكلام الله تعالى في نظمه وبلاغته وفصاحته.

الوجه الثالث: اختصاص بعض الآيات بألفاظ معينة.

مجيء لفظ (ريب) في سورة البقرة، ولفظ (افتراه) في سورتي يونس وهود، وفي سورة الطور (تقوّله)، لماذا؟!

اختُصت آية التحدي التي في سورة البقرة بلفظ (ريب)، (وإن كنتم في ريب مما نزلنا...) لتتناسب مع بداية السورة وهو نفي الريب للقرآن بالحرف النافي للجنس بقوله: (لا ريب فيه..)، فبعد نفي جنس الشك والريب في القرآن الكريم جاء التأكيد الآخر بأنه إن حصل منكم إيها المخاطبون أدنى شك أو ريبٍ فهذا التحدي حاصل بين أيديكم،

---

[1] انظر: بيان المعاني –عبد القادر بن ملّا حويش السيد، مطبعة الترقي – دمشق – ط١، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م –(٣/ ٤٠) – وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل – أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– (١/ ٢٦).

[2] انظر: ملاك التأويل (١/ ٢٩).

فما عليكم إلا أن تواجهوه وتستجيبوا له، وهو الإتيان بسورة مماثلة لهذا القرآن الكريم، فإن لم تفعلوا فما عليكم إلا أن تسلموا وتذعنوا بصدقه، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يخالطه أدنى ريب أو شك.

وتقدّم في سورة يونس الحديث عن الافتراء فقال في الآية السابقة لآية التحدي: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يونس: ٣٧، بمعنى لا يمكن قط أن يكون هذا القرآن الجامع لكل خير والجامع للنظم والتركيب الحسن، الذي وصل إلى حد الإعجاز عن الإتيان بمثله، لا يمكن أن يفتريه أحد، والافتراء هو القطع بالكذب، والقرآن صدق كله ويشهد بذلك ما سبقه من الكتب السماوية، ولو كان مفترى لما سكت عن ذلك أهل الكتاب ولصدوا بكل الحجج والبراهين التي تطعن فيه، بل هو حكم عدل وفصل، ثم يؤكد ذلك بأنه لا ريب فيه.

ومن هنا ناسب أن يخصّ لفظ الافتراء في آية التحدي التالية ليتناسب مع ما سبق، فالقرآن مترابط ومنظوم ومركب بدقة متناهية ومحكمة، فقال في آية التحدي: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ٣٨، فالفعل المضارع (يقولون...) يدل على استمرارهم في غيهم وتجدد ذلك من حينٍ لآخر، (افتراه) بمعنى تعمد نسبته كذباً إلى الله.

وفي سورة هود سبق آية التحدي من بداية السورة الحديث عن تفصيل الكتاب وإحكامه، وأنه من لدن حكيم خبير، فله الحكمة البالغة والخبرة المطلقة في القول وتركيب الكلام ثم سبق آية التحدي الجدل من قِبَل المكذبين وضيق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام من هذا التكذيب، فجاء الجواب في آية التحدي بلفظ الافتراء، بل وبالغ في ذلك التحدي بأن يأتوا بعشر سور وهن مفتريات ليفحمهم وليربك المخاطبين بهذا التحديد؛ ليظهر عجزهم ويبيّن ما هم عليه من العجز، ثم إنه يسِمُ ذلك بصفة الافتراء (مفتريات)؛ لتتحقق هذه الحقيقة بأن الافتراء والاختلاق هو في كلامهم، أما كلامه سبحانه فهو الحق، يشهد بذلك عجزهم عن الإتيان بمثله أو عدد من السور من مثله، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان.

أما آية التحدي في سورة الطور فقد اختُصّت بلفظ (التقوّل)، وهو بمعنى: "اختلقه من قبل نفسه"[1]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ... أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الطور: ٣٠-٣٣، فالآيات في صدد تزكية النبي ﷺ وتبرئته من الكهانة والجنون والشاعرية، وكل هذا أوصاف وسموها به وألصقوها به كذباً وزوراً، فناسب أن يأتي في هذا السياق الكلام عن عدم (تقوّله) واختلاقه للقرآن من قِبَل نفسه، مشابهين له بمثل من سبق في الجاهلية من الشعراء والكهّان الذين أصابهم الهلاك.

[1] البحر المحيط (٩/ ٥٧٤).

الوجه الرابع: اختصاص آية الإسراء بالقسم في أول الآية.

آية التحدي في سورة الإسراء صُدّرتْ باللام الموطئة للقسم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ الإسراء: ٨٨، (لئن اجتمعت) وجواب القسم وجواب الشرط (إن) محذوف من الآية، والتقدير: والله لئن اجتمع الإنس والجن ممن تعرفون وممن لا تعرفون ما استطاعوا الإتيان بمثل القرآن في بلاغته وبيانه وإعجازه.

وهذه الآية اختُصّت بأن افتُتِحت بالقسم عن سائر آيات التحدي؛ وذلك لأن سورة الإسراء خلَت في بدايتها من الحروف المقطعة الدالة على أن القرآن معجز بألفاظه وجمله وبلاغته على الرغم أنه متكوّن من الحروف التي يتكلم المخاطبون بها، بينما سائر السور التي فيها آيات التحدي افتُتحت بالحروف المقطعة الذي يتضمن التحدي والإعجاز، وتم الإشارة فيها إلى أنه كتاب لا ريب فيه كما في سورة البقرة، وأنه آيات من كلام الحكيم سبحانه كما في سورة يونس، وأنه محكم ومفصل من حكيم عليم كما في سورة هود، أما في سورة الطور فقد افتُتحت بالقسم بكتاب الله تعالى صراحة: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ الطور: ١- ٢، وأنه حق لا مرية فيه، يتكون من سطور مصفوفة ومجموعة من الحروف المرتبة بدقة بالغة ومتناهية في الإعجاز والبلاغة والبيان.

جدول مقارنة الاتفاق والاختلاف بين آيات التحدي

وجه الشبه	آية البقرة	آية يونس	آية هود	آية الإسراء	آية الطور
الاستفهام الاستباقي الإنكاري	##	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ؟	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟– واستفهام يفيد الأمر: فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون؟	##	أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ؟
فعل الأمر الدال على التحدي (فأتوا)	فَأْتُواْ	قُلْ فَأْتُوا	قُلْ فَأْتُوا	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا	فَلْيَأْتُوا
المتحدى به	بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ	بِسُورَةٍ مِثْلِهِ	بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ	بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ	بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ
وصف المتحدّى به	##	##	مُفْتَرَيَاتٍ	##	##

الدعوة للتحدي الجماعي	وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ	وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ	وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ	لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ... لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	##
عدم تحقق الشرط	إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين	إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين	إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين	وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
تأكيد التحدي في الماضي والمستقبل	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ	##	فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ	لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ	##

الاستنتاجات :

خلص الباحث إلى النتائج الآتية:

١–قوة الترابط بين آيات التحدي حيث افتُتحت جميع السور التي فيها تلك الآيات بالحروف المقطعة الدالة على أن القرآن معجز بحروفه وترتيبها وتركيبها، وفي سورة الطور صرّح بالقَسَم بكتاب الله تعالى، أما آية الإسراء فقد خلت من ذلك؛ من أجل هذا اختُصت بالقَسَم وتوطئته في بداية الآية.

٢–آيات التحدي مثّلت ترابطاً عجيباً في أسلوبها، وفي اختيار ألفاظها، حيث جاء تكرار لفظ (الريب أو الافتراء)، الذي يوحي بمدى تكذيب المشركين للوحي القرآني وعمق إصرارهم على ذلك.

ولفظ (فأتوا) الأمر التعجيزي الدال على إظهار مدى عجز المخاطبين عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

ولفظ (وادعوا)، الذي يمثّل تعميم التحدّي لسائر الخلق أفراداً وأمماً، وإنساً وجناً، وعرباً وعجماً.

ولفظ (سورةٍ أو حديثٍ) ليدلّل على كمال التحدي، وأنهم عاجزون عن القليل منه فضلاً عن كثيره.

والعطف بـ (الفاء) دون غيره من حروف العطف، وهو إشارة إلى المبادرة وسرعة دحض ما بالمكذبين من الشك والريب، وإزالة غشاوة العمى والجهل الذي حلّ بهم.

٣– أُكدتْ الآيات التحدي من عدة أوجه: الدعوة للتحدي الجماعي، الإخبار الغيبي بأن ذلك لم يحصل في الماضي، وكذلك لن يكون في المستقبل.

٤– آية التحدي التي في سورة البقرة جاء فيها لفظ (الريب) ليتناسب مع بداية السورة النافي للريب تجاه القرآن الكريم: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين} [البقرة: ١، ٢].

أما آيتا التحدي اللتان في سورتي يونس وهود لمّا كان السياق للآيات هو الحديث عن عدم نسبة افترائه عليه الصلاة والسلام للقرآن إلى الله، وأن هذا القرآن محكم مفصّل من الله الحكيم الخبير ناسب أن تفتتحا بلفظ (الافتراء): {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ...} كما في سورة يونس، و{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ... } كما في سورة هود.

أما آية التحدي التي في سورة الطور لمّا كان الغرض من السياق هو تبرئته عليه الصلاة والسلام مما يتخالج النفس من الشعر والكهانة وأحلام المشركين الفاسدة، ناسب أن يأتي السياق بلفظ (التقوّل)؛ لإثبات براءته عليه الصلاة والسلام من التقوّل على الله، وأن كلام الله تعالى الذي يقوم بتبليغه ليس كالشعر والكهانة التي كانت في الجاهلية.

المراجع العربية :

- ابن أجزى، ابن جزي الكلبي، ١٤١٦هـ التسهيل لعلوم التنزيل، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي المصري، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، شرح ابن عقيل، ط٢٠، دار التراث، القاهرة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤هـ التحرير والتنوير – الدار التونسية للنشر – تونس.
- أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، ١٤٢٠هـ البحر المحيط في التفسير– ت: صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت.
- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري – ١٤٠٧– ١٩٨٧م، صحيح البخاري، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، تفسير ابن كثير– ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الزركشي، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، ط١– دار إحياء الكتب العربية.
- أبو الفيض، محمّد بن محمّد، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس، دار الهداية.
- أبو القاسم، محمود بن عمرو، ١٤٠٧هـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– ط٣– دار الكتاب العربي – بيروت.

- أبو القاسم، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهانى، ١٤١٢هـ المفردات في غريب القرآن، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.
- أبو منصور، محمد بن محمد، الماتريدي، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.
- أبو هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، ١٤١٢هـ، معجم الفروق اللغوية، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط٣، دار المعارف.
- جعفر شرف الدين، ١٤٢٠هـ الموسوعة القرآنية خصائص السور، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت.
- الرافعي، مصطفى صادق، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط٨، دار الكتاب العربي – بيروت.
- الرومي، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، دراسات في علوم القرآن، ط١٣.
- السامرائي، فاضل بن صالح، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط٣، دار عمار، عمان، الأردن.
- الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن–ط١.

❖ طنطاوي، د. محمد سيد (شيخ الأزهر)، ١٤٠٤هـ القرآن يتحدى، السنة ١٦، العدد ٦٢- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

❖ عبد القادر بن ملّا حويش السيد، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م، ط١، بيان المعاني، مطبعة الترقي – دمشق.

❖ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، ١٤٢٠هـ مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

❖ المطعني، عبد العظيم المطعني، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١، – مكتبة وهبة.

❖ دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.

❖ الهاشمي، أحمد الهامشي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Ibn Juzayy al-Kalbi, Al-Tashil li-‘Ulum al-Tanzil, 1st ed., Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam, Beirut, 1416 AH.
- Ibn Aqil, Abdullah bin Abdulrahman Al-'Aqeeli Al-Masri, Sharh Ibn Aqil, 20th ed., Dar Al-Turath, Cairo, 1400 AH / 1980 AD.
- Ibn ‘Ashur, Muhammad al-Tahir, Al-Tahrir wa al-Tanwir, Tunisian Publishing House, Tunisia, 1984 AH.
- Abu Ja‘far, Ahmad bin Ibrahim, Malak al-Ta’wil al-Qati‘ bi-Dhawi al-Ilhad wa al-Ta‘til, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut – Lebanon.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf, Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, ed. Sidqi Muhammad Jamil, Dar al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
- Abu Abdullah, Muhammad bin Ismail al-Bukhari, Sahih al-Bukhari, 3rd ed., Dar Ibn Kathir, Al-Yamamah – Beirut, 1407 AH / 1987 AD.
- Abu al-Su‘ud, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, Irshad al-‘Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim, Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, Beirut.
- Abu al-Fida’, Isma‘il bin ‘Umar bin Kathir al-Qurashi, Tafsir Ibn Kathir, 2nd ed., Dar Taybah lil-Nashr wal-Tawzi‘, 1420 AH / 1999 AD.
- Abu Abdullah, Muhammad bin Abdullah al-Zarkashi, Al-Burhan fi ‘Ulum al-Qur’an, 1st ed., Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, 1376 AH / 1957 AD.
- Abu al-Fayd, Muhammad bin Muhammad, known as Murtada, al-Zabidi, Taj al-‘Arus, Dar al-Hidaya.
- Abu al-Qasim, Mahmoud bin Amr, Al-Kashshaf ‘an Haqa’iq Ghawamid al-Tanzil, 3rd ed., Dar al-Kitab al-‘Arabi, Beirut, 1407 AH.
- Abu al-Qasim, Al-Husayn bin Muhammad, Al-Raghib al-Isfahani, Al-Mufradat fi Gharib al-Qur’an, 1st ed., Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya – Damascus/Beirut, 1412 AH.
- Abu Mansur, Muhammad bin Muhammad, Al-Maturidi, Ta’wilat Ahl al-Sunnah, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah – Beirut, Lebanon, 1426 AH / 2005 AD.

- Abu Hilal, Al-Hasan bin Abdullah Al-‘Askari, Mu‘jam al-Furuq al-Lughawiyya, 1st ed., Islamic Publishing Foundation (Qom), 1412 AH.
- Al-Biqa‘i, Ibrahim bin ‘Umar, Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar, Dar al-Kitab al-Islami, Cairo.
- Bint al-Shati’, Aisha Muhammad Ali Abdul Rahman, Al-I‘jaz al-Bayani lil-Qur’an wa Masail Ibn al-Azraq, 3rd ed., Dar al-Ma‘arif.
- Ja‘far Sharaf al-Din, Al-Mawsu‘a al-Qur’aniyya: Khawas al-Suwar, 1st ed., Dar al-Taqrib bayna al-Madhahib al-Islamiyyah – Beirut, 1420 AH.
- Al-Rafi‘i, Mustafa Sadiq, I‘jaz al-Qur’an wa al-Balagha al-Nabawiyya, 8th ed., Dar al-Kitab al-‘Arabi – Beirut, 1425 AH / 2005 AD.
- Al-Rumi, Prof. Fahd bin Abdulrahman bin Sulayman, Diraasat fi ‘Ulum al-Qur’an, 13th ed., 1424 AH / 2003 AD.
- Al-Samarrai, Fadhil bin Salih, Lamasat Bayaniyya fi Nusus min al-Tanzil, 3rd ed., Dar Ammar, Amman – Jordan, 1423 AH / 2003 AD.
- Sheikh Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi, Tafsir Hada’iq al-Ruh wa al-Rayhan fi Rawabi ‘Ulum al-Qur’an, 1st ed., 1421 AH / 2001 AD.
- Tantawi, Dr. Muhammad Sayyid (Grand Sheikh of Al-Azhar), Al-Qur’an Yatahadda, Year 16, Issue 62, Islamic University of Madinah, 1404 AH.
- Abdulqadir bin Mullah Huwaish Al-Sayyid, Bayan al-Ma‘ani, 1st ed., Al-Taraqqi Press – Damascus, 1382 AH / 1965 AD.
- Fakhr al-Din al-Razi, Muhammad bin ‘Umar, known as Fakhr al-Din al-Razi, Mafatih al-Ghayb – Al-Tafsir al-Kabir, 3rd ed., Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi – Beirut, 1420 AH.
- Al-Mut‘ani, Abdul Azim, Khasais al-Ta‘bir al-Qur’ani wa Simatihi al-Balaghiya, 1st ed., Wahba Library, 1413 AH / 1992 AD.
- Dar Tawk al-Najat, Beirut – Lebanon.
- Al-Hashimi, Ahmad Al-Hamshi, Jawahir al-Balaghah fi al-Ma‘ani wa al-Bayan wa al-Badi‘, Al-Maktabah al-‘Asriyya, Beirut.